مجلة المعيار ISSN: 2588-2384
مجلد: 22 عدد: 44 السنة: 2018

الإنسان الكامل عند الأمير عبد القادر الجزائري

أ.أميرة زايدي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
zaidiamira87@gmail.com
د.الزهرة لحلح
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

تاريخ الوصول: 2018/04/23 / القبول:2018/05/19 / النشر على الخط: 2018/06/15
Received: 23/04/2018 / Accepted: 19/05/2018 / Published online: 15/06/2018

ملخص:
تطرق الأمير عبد القادر الجزائري إلي الكمالية الإنسانية في كتابه المواقف، حيث أبرز ماهية هذا الإنسان وما يملكه من ملكات تخوله لرقي والصعود إلي هذا الكمال، إذ أن الكمال عنده هو الذي جمع بين الحق والخلق ودخل إلي النسبتين بحقيقته، إذ كل إنسان خلق بالقوة علي التمـام و الكمال ولكن لا يظهر فيه الكمال إلا إذا تحقق وتخلق بالأخلاق التي هي صفات الرحمان (أسماؤه وصفاته) مع فرق بين الخالق والمخلوق، وإذا ما تحقق له الكمال عرف وظائفه التي تمثلت في وظيفة استخلافية ومعرفية وسلوكية اجتماعية ومدار هذا الكمال الإنساني ومهامه علي العبودية والخضوع لله وحده، ولقد تجلت هذه الكمالية الإنسانية في شخص النبي صلي الله عليه وسلم القدوة الحسنة الذي عبد ربه حق عبادة وأنار البشرية بهديه.

الكلمات المفتاحية: الإنسان – الأمير عبد القادر – الرؤية الكمالية

Abstract:

Care of Emir Abdelkader Algerian humanitarian perfectionism in his book positions, where most of what this man and what is owned by the queen conferred the paper and rise to this perfect, as perfect with him is the one who brought together the right and the creation and entered the percentages Bhakagueth, as every human being creating by force on the cosine and perfection but the perfection does not appear unless check and create morality which are recipes Rahman (names and attributes) with the difference between the Creator and the creature, and if achieved his perfect defined functions which were represented at the function Astkhlavih and cognitive and behavioral, social and throughout this human perfection and functions of slavery and submission to God alone, and I have demonstrated this human perfectionism in the person of the Prophet, peace be upon him by example that Abed Rabbo, the right to worship human gift and Anar.

Keywords: Humen- Emir Abedeikader- percfectionism.

تعدد النظريات الفلسفية والفكرية حول موضوع الإنسان وفك شفراته لفهم ماهيته، وما تقوم عليه إنسانيته، وما هي وظيفته في هذا الوجود، ويعد الأمير عبد القادر الجزائري من الذين أبرزوا شخصية هذا الإنسان، كما طرح فكرة الكمالية في كتابه المواقف وأعطى لها شروط لظهورها، كما أعطى وظائف لهذا الإنسان الكامل يجب القيام بها كي تبرز كماليته على أكمل وجه، سنحاول في هذا البحث تبيان أهم ملامح هذا الإنسان الكامل ووظائفه مجيبين على الأسئلة التالية:

. ما هي حقيقة هذا الإنسان الكامل؟.

. وما هي وظائف هذا الإنسان الكامل؟ وكيف يحقق هذا الكمال؟.

– أولا/ حقيقة الإنسان الكامل:

بالتحري في كتاب المواقف للأمير عبد القادر نجده ذهب في تعريفه للإنسان على ثلاثة أضرب:

1/ عرفه بما له من ملكات روح وعقل ونفس، وفصل في عمل كل واحدة منها واختصاصها. حيث يقول الأمير« " جملة الإنسان روح وعقل ونفس"، فالروح واحد يتعدد بتعدد الأعضاء فهو واحد كثر ولا يدير الجسم، والعقل هو نور الروح، وهو يدير الجسم بأمر الروح، والنفس هي نور العقل وهي بمنزلة الخادم للعقل فإن كمل كملت النفس وبالعكس، وجملة هذه الثلاثة أمر واحد، هو أمر الله... »[1].

فالملاحظ أن الأمير فرق بين الروح والعقل والنفس ثم جمع بينهما بأنها من عالم الأمر الإلهي، ونجد في تفصيل ذلك أن الروح والنفس عند الأمير شيء واحد إلا أننا نطلق على النفس روحا كلما تعلقت بالعالم العلوي، وتسمى نفسا كلما تعلقت بالعالم السفلي (الجسد) وهذا ملاحظ في قول الأمير: " فإذا نزلت الروح إلى عالم الأجسام الطبيعية وأخلدت إليها مسخت نفسا، والنفس الغافلة بيت الشيطان والنفس من حيث هي طاهرة قدسية.... ومنها ما هو مطيع للروح، ومنها عاص، فالمطيع يسمى عالم الجبروت وهي التي لا خبث فيها لأنها بهذا الاعتبار هي الروح التي من أمر الله...."[2] ولكي تعلو هذه النفس إلى الروح عليها بإتباع شرع الله وما أتى به الأنبياء والرسل حيث قال الأمير: " فشرع الله تعالى، الشرائع، وأرسل الرسل لتطهر النفس من خبائثها وتتزكى من رذالتها، فتعود روحا كما كانت، وأنه لا يتم لها هذا إلا بإتباع الرسل قولا وفعلا وحالا"[3].

---

[1]– الأمير عبد القادر الحسيني، المواقف في بعض إشارات القرآن الكريم إلى الأسرار والمعارف، ت عبد الباقي مفتاح، دار الهدى الجزائر ط1، 1426 هـ. 2005 م، ج1، ص 263 .

[2] . الأمير عبد القادر، المواقف، ج1، ص235

[3]– المرجع نفسه، ج1، ص 235 . / 3. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار قباء، القاهرة، دط، 1998، ص192.

وهده النظرة نجدها عند الفلاسفة اليونانيون كأفلاطون فهو " يعتبر الإنسان كائن دو طبيعة ثنائية فهو بما له من نفس ينتمي إلي العالم العقلي الإلهي الخالد وبما له من جسد ينتمي إلي العالم الحسي الفان"[3]ويركز علي الجانب الأول عالم المعقولات لما له من تأثير كبير في نظرية السعادة فنجده يحدد أن النفس فكر خالص، وأنها مبدأ الحياة والحركة للجسم"4

2/ تعريف الأمير عبد القادر للإنسان بالجمع بين الظاهر والباطن، فظاهره خلق وباطنه حق فهو بهذا نال الجمع بين النسبتين الكونية والإلهية. فالإنسان له نسبتان نسبة إلى العالم العلوي ونسبة إلى العالم السفلي.

حيث نجد أن الأمير عبد القادر يقصد بالباطن أو النسبة الإلهية (هي الأسماء والصفات الإلهية) وهذا واضح في قول الأمير " كشف لآدم عليه السلام عن إنسانيته التي هي حقيقته فوجدها مجموع الأسماء الإلهية والكونية في مقام الفرق وإلا فالجميع أسماء إلهية فما الكون جميعه إلى أسماؤه الإلهية"[5]

3/ تعريف الأمير للإنسان بالوظيفة: حيث عرفه بمهمته التي نال بها الشرف على سائر المخلوقات ونال بها النيابة والخلافة فهو العارف الخليفة ولا يكون الإنسان خليفة إلا إذا تحقق و تخلق بأسمائه و صفاته تعالى ويكون هذا لمن كانت العرفة صفته و هذا ما نستشفه من أقوال الأمير " فالعارف صورة الحق أعني صورة العارف الباطنية ، فظاهر العارف خلق وباطنه حق فالصورة الباطنية هي صورة الحق تعالى لأنه متخلق بأخلاقه متحقق بأسمائه ،وأن المعرفة وصفه ، فالعارف خليفة الله ، والخليفة لابد أن يكون ظاهرا بصورة مستخلفة، هي أسماؤه و صفاته ، وإذا نقصه شيء من الصفات فقد نقصه من الخلافة بقدرها"

- و من خلال هذا الكشف لحقيقة الإنسان عند الأمير عبد القادر تتضح لنا رؤية الإنسان الكامل عند الأمير فإذا ما تتبعنا كلمة الكمال عنده وجدناه يعني بها ذلك الإنسان الذي جمع في طياته بين الحقيقتين الكونية و الإلهية فيقول "جعل الإنسان الكامل كتاباً جامعاً لكل شيء من الأشياء الإلهية والكونية "[1].

- ويزيدنا الأمير إيضاحا لهذه الحقيقة الجامعة عندما يصفها بأنها مجموع الأسماء الإلهية التي هي مركوزة في أدم عليه السلام عند خلقه و أنها هي حقيقته الإنسانية و كشف لأدم عن إنسانيته التي هي حقيقة فوجدها مجموع الأسماء الإلهية والكونية ،وبالتالي فالإنسان الكامل هو الذي يكون جامعا بين الظاهر والباطن فله بهذا الخلق نسبتان ، نسبة إلهية و نسبة كونية فيفصل الأمير في هذا القول " الإنسان من بين سائر

---

4 . يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ط3، دت، ص89. / 5 . الأمير عبد القادر، مرجع سابق، ص368.

[1]– الأمير عبد القادر، المواقف ،ج1 ، ص 131

العالم ، جامع بين الاسم الظاهر و الباطن كان له الشرف فهو أشرف المخلوقات و أكملها ، فالإنسان الكامل مظهر جامع لجميع حقائق الأسمائية (.....) فالإنسان نسبتان، نسبة يدخل بها الحضرة الإلهية و نسبة يدخل بها العالم.[1]

- ولقد فرق الأمير عبد القادر بين الإنسان الذي تظهر فيه أسماء الله تعالى و صفاته و بين الذي لا تظهر فيه إذ أنه كل إنسان مخلوق على التمام أي من ناحية التسوية و التعديل و القبول ، ولكن ما كلهم كاملون لأن الكمال رتبة لمن تحقق و تخلق بالأسماء والصفات الإلهية ، إذن هناك فرق بين الإنسان التام والإنسان الكامل عند الأمير حيث يقول"و قربهم منه تعالى على قدر تخلقهم و تحققهم بأسمائه تعالى ، والكامل المكمل هو الذي له الظهور بجميع الأسماء الإلهية ما عدا الوجوب بالذات، وذلك هو مجموع الصورة الإلهية التي خلق عليها آدم عليه السلام [المقصود بها أسماء الله و صفاته مع الفرق بين الخالق و المخلوق] و المتحقق بهذه المرتبة هو الذي يسمى إنساناً كاملا. [2]

- إذن الكمال هو مركوز في الجميع و لكن لا يظهر إلا باستعداد كل فرد للكمال فيقول الأمير "ما فاز بالتسوية والتعديل على الكمال والتمام إلا الإنسان الكامل".[3]هذا لأن الحقيقة الإنسانية موجودة في الجميع وقابل لرتبة الكمال ولكنهم متفاوتون في ظهور الآثار الإنسانية "فكل إنسان مخلوق على الصورة(....)، و إن لم يكن إنسانا كاملا بالفعل فهو إنسان بالصورة و القوة و الصلاحية صالح لأن يكون كاملا بالفعل متهيئا لذلك إذا حفته العناية الإلهية"[2].

و نستفيد مما سبق أن الكمال لا يكون إلا للذي تحقق بماله من الصفات التي خلقه الله عليها إذ أن الله خلق النوع البشري بكمال الباطن ، يمكن أن يظهر به الإنسان إذا عر ف نفسه و عرف ربه و هذا ما يسمى عند الأمير عبد القادر (بالتمام) أي أنه تام الخلقة لا يوجد فيه نقص و هي متساوية لدى كل البشر على عكس الكمال فهو فعلي استعدادي يظهر بظهور التخلق والاتصاف بمالك من الصفات والملكات، وهده النظرة نجدها عند الكثير من الصوفية خاصة محي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية[3]

- ولقد أعطى الأمير لهده الرؤيا الكمالية قدوة فهي أعلى مراتب الكمال التي ظهرت في الوجود على التمام والكمال وهو النبي صلى الله عليه وسلم (الحقيقة المحمدية) قال الأمير "كان الإنسان الكامل بالأصالة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فهو الإنسان الكامل الذي

[1]- الأمير عبد القادر، المواقف، ج1، ص 575

[2]- الأمير عبد القادر، المواقف ،ج2 ، ص 111

[3]- المرجع نفسه ، ج2 ، ص 323،ص551.

3. أنظر إلي الفتوحات الكية لمحي الدين بن عربي،ج4،ص398

لا أكمال منه ثم النازلين من الكمال... وما بقي على الصورة الإنسانية (من غير الكمل)في الشكل فهو من جملة حيوان".[1] وكمال النبي صلى الله عليه وسلم إنما لأنه متخلق بأخلاق خالقه عارف لحقيقته وعارف لربه فكماله من كمال عبوديته وقيامه بوظيفته .

ونستطيع أن نفهم من خلال هذا الاستقراء أن الحقيقة المحمدية(صلي الله عليه وسلم) عند الأمير عبد القادر على أنه إنسان بشر مخلوق كسائر المخلوقات وإنما كماله صلى الله عليه وسلم مستمد من معرفته بالحقيقة التي هو عليها أي انه مجموع (الأسماء والصفات) فلما عرف اتصف فهو أعلى مراتب الاتصاف بالأسماء فلقد تحققت فيه صلى الله عليه وسلم فنال بهذه البرزخية الكبرى أي أعطى لكل ذي حق حقه من الأسماء الإلهية التي هو عليها وأعطى الحضرة الكونية التي هو جزء منها حقها فكان مثلا للاعتدال الكمال بين الجانبين .

. وكان الأمير عبد القادر يريد أن يوصل هذه الفكرة من أول موقف أستفتح به كتابه فتناول فيه شرح الآية (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الأحزاب21 ولقد أعطى لها أربعة أبعاد كانت موجودة في الرسول صلى الله عليه وسلم وكل بعد من الأبعاد يحمل علما من العلوم النافعة في الدنيا و الآخرة وجب على كل مريد وعارف أن يجعل هذه الآية قبلته.

. فالبعد الأول للآية (بالنظر إلى معاملة الحق تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فإنه أعطاه ومنعه وضره ونفعه وسلط الأعداء عليه وجعل الحرب دولا تارة له وتارة عليه فتارة يخاطبه فيقول تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » الفتح10 وقوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »آل عمران 31 ومرة يخاطبه فيقول تعالى :«إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » فتارة أنزله منزلة نفسه العليا وتارة منزلة العبد الحقير ويدخل تحت هذا القسم من العلم بالله و صفاته و غناه عن مخلوقاته و افتقارهم إليه و العلم بالرسل، وحكمة الله في مخلوقاته و ترتيب الآخرة على الدنيا و مالا يحصى من العلوم.[2]

أما البعد الثاني الذي أعطاه الأمير عبد القادر للآية بالنظر إلى معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لربه من تحقيق العبودية و القيام بحقوق الربوبية و الفقر إليه ، والتوكل عليه في كل الأمور ..... فيدخل تحت هذا القسم من العلوم الشرعية عبادات، وعادات، ومنجيات و مهلكات..... .[3]

أما البعد الثالث بالنظر إلى معاملة الخلق له صلى الله عليه وسلم فإنهم بين مصدق ومكذب ، ومحب ومبغض وآذوه بالقول و الفعل ..... فيدخل تحت هذا القسم من العلوم شمائله صلى الله عليه وسلم وأخبار الأنبياء و العارفين.....[4].

---

[1]- الأمير عبد القادر، المواقف، ج2،ص 560

[2]- الأمير عبد القادر، المواقف، ج1، ص 107

[3]- الأمير عبد القادر، المواقف ، ج1 ، ص 107

[4]- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 108

أما البعد الرابع بالنظر إلى معاملته صلى الله عليه وسلم للخلق من محبتهم و إرادة الخير لهم و الصبر عليهم و قابل كل مكروه بالأضداد الحسنة ، تخلق بالأخلاق الإلهية وتحقق بالأسماء الإلهية فيدخل تحت هذا القسم من العلوم من مكارم الأخلاق و حسن الشمائل وعلوم سياسة الدين و الدنيا التي بها نظام العالم و عمارته .[1]

مما سبق يتضح أن الحقيقة المحمدية التي هي برزخ البرازخ التي أعطى لها الأمير عبد القادر الكمالية الإنسانية إنما لأنه كان أكثر إنسان تحقق و تخلق بأخلاق خالقه و اتصف بصافته و حقق عبوديته له فعرف مكانة ربه و عرف حقيقته التي تجلت في خلافته التي أنارت وأشرقت هداية على البشرية.

ثانياً / وظائف الإنسان الكامل

الإنسان الكامل عند الأمير هو ذلك الإنسان الذي جمع بين الحق و الخلق و لا يتم له ذلك إلا إذا كان متصفاً متخلفاً بالأخلاق الإلهية ،وبهذا تحققت ماهية هذا الإنسان ،وإذا ما عرف الإنسان هذه الماهية عرف وظائفه ، وجملة وظائف هذه الإنسان الكامل عند الأمير تدور حول ثلاث ، وجودية ، معرفية ، اجتماعية سلوكية.

الوظيفية الوجودية:

لقد بين الله تعالى عن وظيفة هذا الإنسان الوجودية منذ أن أعلن عن خلق هذا النوع من المخلوقات(البشرية) للملائكة إذ قال تعالى :« إني جاعل في الأرض خليفة » البقرة 30 .إذ حمله الأمانة التي أبت أن تحملها السماوات و الأرض في قوله تعالى :« إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض و الجبال فأبين أن يحملنها » الأحزاب 72.

إذ يقول الأمير في هذا الصدد " والحكمة تقتضي كون الخليفة من الجنس الآدمي لأنه الكون الجامع للحقائق الإلهية و الكونية ،المختص بالصورة الرحمانية وآدم وبنوه، و الخلفاء فنشأتهم تقتضي تعلق الأسماء كلها ، لخلقه باليدين و جمعها لصورتين الصورة الإلهية من حيث الباطن و الصورة الكونية من حيث الظاهر و ليست هذه الجمعية لجنس الملك ، فلهذا كان الخليفة الأول آدم و من ورث الخلافة من بنيه يظهر بجميع الأسماء الكونية و الإلهية".[2]

ويقصد الأمير بأن الخلافة هي لذلك الإنسان الكامل الذي هو حقيقته الباطنية(الأسماء و الصفات الإلهية من الناحية الروحية)، والظاهرة (انتسابه إلى هذا الكون من الناحية الجسمية)

---

[1]- المرجع نفسه ، ج2 ، ص 108

[2]- الأمير عبد القادر ، الموقف ،ج1 ، ص 495

و لا يقوم بهذه الوظيفة الإستخلافية إلا إذا كان متخلقا متحققا بالأسماء الإلهية ، فيقول "الإنسان الكامل الخليفة له الاستعداد لظهور بجميع الأسماء الإلهية على التمام "[1] .

(فالعارف خليفة الله و الخليفة لابد أن يكون ظاهراً بصورة مستخلفة هي أسماؤه وصفاته، و إذا نقص شيء من الصفات، فقد نقص من الخلافة بقدرها....، و الظاهر بالصفات و الأسماء على الكمال هو الخليفة الكامل).[2]

وبالتالي فالخلافة هي جوهر الإنسان في هذه الدنيا و لا تكون له إلا إذا كان عابداً لله إذْ هي الجوهر الأساسي الذي يقوم عليها الوجود كله فيقول الأمير (و ما من خلق إلا وتعلق القصد الثاني منه وجود الإنسان الذي هو الخليفة في العالم ، وأما القصد الأول فمعرفة الله وعبادته التي خلق لها العالم ففهم). [3]

2- الوظيفة المعرفية:

لا يمكن للإنسان أن يدرك حقيقته و لا حقيقة وظائفه إلا إذا قام بالوظيفة المعرفية التي تميزه عن سائر المخلوقات، إذ أنه بهذه الحركة المعرفية يمكن أن يستكشف هذا العالم من حوله، والنفس التي بين جنبيه وبالتالي يدرك قدره و قدر الموجودات و يعرف ربه فتحسن عبادته و أشرف المعارف عند الأمير التي تزيد معرفة ربه حيث يقول الأمير "إذ الإنسان ما حصل له الشرف على جميع المخلوقات بحسن شكله و صورته، وإنما بإنسانيته التي هي قلبه ....، وهي التي وسعته بالعلم و المعرفة و الظهور بالأسماء والصفات "[4].

والملاحظة في قول الأمير قدم المعرفة و العلم على الظهور بالأسماء، أي أنه لا يمكن للإنسان أن يتصف بهذه الصفات إلا إذا علم حقيقة الأمور ، ومعرفة النفس و الحق و العالم ، لكي يمكن للإنسان أن يكون متخلقاً بهذه الأسماء، ومن كان الجهل وصفه فهل يتصف بشيء يجهله ؟.

و كل إنسان قابل لهذه الحركة المعرفية و يمكن أن يكشف كل ما يدور بداخله وخارجه إذا أن المعارف مركوزة ومفطورة في هذا المخلوق البشري يقول الأمير" العلوم كلها مركوزة في حقيقته تظهر آنا بعد آنا بإرادته تعالى، لأن الحقيقة الإنسانية موجودة في الجميع" .[5]

و العلم عند الأمير هو ذلك العلم الذي يزيد الإنسان معرفة واتصالا بالحق، فالعلم الحقيقي هو العلم بالله فهو من أجل النعم على الإنسان فيقول " نعمة العلم والمعرفة بالله تعالى ، والعلم بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاملات و الأمور الغيبية، ولاشك أن هذه النعمة من أعظم النعم".[1]

---

[1]- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 569

[2]- المرجع نفسه ، ج1 ، ص 133

[3]- الأمير عبد القادر،المواقف ، ج1 ، ص 553

[4]-المرجع نفسه،ج1 ،ص152، ص 237

[5]-المرجع نفسه، ج1، ص 237

3- الوظيفة الاجتماعية السلوكية :

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يمكنه العيش بمفرده إذ خلق ليأنس مع بني جنسه والمتتبع لمواقف الأمير يجدها تدور حول سلوك هذا الإنسان وعلاقته الأولى مع ربه وكيفية تخلصه من دنس الشهوات والمادة لكي يتصف بالصفات الرحمانية التي إذا ما تجسدت في سلوكه صلحت به دنياه وآخرته إذ العلاقة الأولى مع الله هي أساس كل العلاقات، فمداد هذه الوظيفة الاجتماعية عند الأمير هي وظيفة سلوكية، يتطهر فيها الإنسان لكي يبلغ الدروة من الأخلاق الإلهية، ويكون الانطلاق في هذه الوظيفة بالتطهر من كل ذميمة والتحلي بكل فضيلة فيقول الأمير" الجهاد الأكبر جهاد النفس بالتزكية والتخلية والتحلية...وتبديل الأحوال الذميمة بأخلاق الجميلة، وجهاد النفس وتزكيتها، فلاحها ومعرفة ربها...، والعبادة فرع من المعرفة" [2] وتصفية النفس حتى يزول شرها وجموحها من الصفات الذميمة والأخلاق اللئيمة، وهو المسمى بالمجاهدة والرياضة، فالمجاهدة بالأفعال الظاهرة والرياضة بالأمور الباطنة، أي ارتياض النفس وتركها لصفاتها البهيمية المرذولة شرعا وطبعا، وهي التي سماها صاحب الإحياء علوم الذين: بالمهلكات كالحسد والغضب والرياء والسمعة والكبر والبخل...، وليس المراد إعدام هذه الصفات بالكلية حتى لا يبقى لها أثر فإنه محال ، إذ حقيقة الإنسان معجونة بهذه الصفات"[2]

ووجب على الإنسان لكي تصفو هذه النفس وتسمو أن تدخل تحت هداية الله تعالى فيقول الأمير " أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالنصح لأمته، وأن يخبر المشردين الطالبين الهداية إلى معرفته تعالى والوصول إليها والحصول عليه، بأن الهداية التي لا يشوبها الزيغ والظلال والحيرة، هي هداية الله لا هداية غيره"[3]

وهذه الهداية هي الصراط المستقيم الذي أمرنا بطلب الهداية إليه في كل صلاة وهو الصراط الذي يهدي إليه محمد صلى الله عليه وسلم وهو صراط جميع الأنبياء وأما ما عدا صراط النبيين ومن تبعهم فتلك سبل، وهي سبيل المغضوب عليهم والضالين"[4]

فمن تزكى وتقيد بشرع الله عرف ربه على الحقيقة فعبده فحصل له بذلك السعادة ومن خلال هذا يتبين أن تزكية النفس عند الأمير عبد القادر هي التي تقود بالإنسان إلى معرفة ربه وعبادته بشكل صحيح وسليم ومن كانت علاقته مع ربه سليمة فبالضرورة ستكون علاقته مع غيره على أحسن وجه، فهو أين يولي وجهه موافق لربه إذ هو متخلق بصفاته حامل لأمانته.

---

[1]- المرجع نفسه، ج1، ص209،ص211

[2] . المرجع نفسه، ج1، ص 259

[3] . المرجع نفسه، ج1، ص 262

[4] . المرجع نفسه، ج1، ص 256

ثالثا/ تحقيق الكمالية للإنسان

من خلال استقراء أهم الأفكار عن الإنسان الكامل وظائفه عند الأمير عبد القادر نجد أن الكامل هو الذي تظهر فيه أسماء الله وصفاته من خلال الاتصاف بها ولا تكون له هذه الكمالية إلا إذا حقق كمال العبودية والخضوع لله والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وتهذيب نفسه ومجاهدتها بالأخلاق الحسنة ودفع عنها الخصال الرذيلة وكلما ازدادت النفس تقربا إلى الله ازداد هذا النضج في الكمال ليحقق به وظائفه من عمارة الأرض واستخلافها بما شرع الله من العلم النافع الذي يسوس به ويقود به الكون والبشرية إلى السعادة والنجاة.

ولم تقتصر الرؤيا الكمالية للإنسان عند الأمير عبد القادر بل نجد الكثير من العلماء والمفكرين يدندنون حول هذه الرؤيا بطريقة ما ولقد تعددت وجهات النظر ولكنها تتفق على أن الوصول إلى الكمال لا يكون إلا بتحقيق العلم النافع والعبادة الخاصة لله وبتحمل أمانة الخلافة التي تقود إلى النجاة.

حيث أن الكمال والشرف في هذه الدار إنما هو الدؤوب على القيام بوظائف العبودية وأداء ما يجب للربوبية[1] ولهذا كانت كلمة لا إله إلا الله هي مدا ر الحياة كلها حيث كان الحبيب المصطفى يعيش مقتضيات لا إله إلا الله أمام اتباعه، بالقدوة الحسنة في شخصه الكريم ويوجههم إليها وكيف يعيشونها وكيف يكون في كل لحظة ذاكرا، صابرا، شاكرا، متطلعا دائما إلى عون الله، لاجئا إليه، مستعينا به، مستغفرا إياه، ولقد تعلم صحابته منه فتجردوا لله حتى خلت نفوسهم من حظ نفوسهم والعبادة في اليسر في الطريق وهي القاعدة الكبرى التي يستمد منها نظام الحياة[2].

وبهذا المفهوم الواسع لا تكون العبادة محصورة في أداء أركان الإسلام فقط إنما تتعدى كل مجالات الحياة، إذ لا يحقق الإنسان ماهيته الحقيقية إلى إذا كان عابدا فقيمة العبادة أن تكون منهج حياة[3].

ولا تتحقق العبادة الصحيحة إلا إذا سبقتها علم نافع فيقول الأمير وشرف الإنسان في طلب العلم والمعرفة، واشرف العلوم التي تزيد الإنسان معرفته بربه فتوصله إلى عبادته[4].

---

[1] . الأمير عبد القادر، المواقف، ج1، ص329

[2] . محمد قطب، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الشروق القاهرة،ط2،1414 . 1993،ص20 . 21، 39

[3] . خالد عبد الرحمان العك ، غاية حياة الإنسان كما يصورها الدين والعلم، دار الألباب دمشق،ط1 1412 . 1991 ص93

[4]. ينظر كتاب المواقف للأمير، ج1، ص237 ، 401، 574

لهذا يجب على الإنسان أن يعيش حياته متفكرا متأملا معتبرا مستغرقا بقلبه في ملكوت السماوات والأرض لذلك كان من الواجب من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جوهر الأشياء ليقف على الإبداع الحقيقي في جميع الكائنات لأنه من لم يعرف حقيقة الشيء، لم يعرف حقيقة الإبداع، فالإنسان كون صغير داخل كون كبير ولكل من الكونين انعكاساته على الآخر وتفاعله معه فالمؤمن صاحب تجربة روحية دوقية يستشعر الوجود من حوله وحقيقة التوحيد وهذا قمة الإيمان[1]، و لبلوغ هذا الهدف قد أودع الله في هذا الإنسان قوة العلم والمعرفة[2].

فالعقل البشري يتأمل في الظاهرة المادية المحسوسة ثم يتجاوزها متسائلا عما ورائها، فإذا توقف الإنسان عند الظواهر الحسية فقط و لم يتجاوزها إلى ما وراءها فقد ضاع منه نصف الطريق وضل طريقه إلى نصف الحقيقة[3]. لذا يجب على المؤمن الجمع بين القراءتين قراءة في الكون وقراءة في الوحي لأنهما أمران إلهيان[4]، إذ أن العلم والفكر الذي لا يرتقي بالحياة إلى جانبها الروحي والمادي معا لا يعمر بهما الكون وهما علم وفكر قاصران وضرهما أكبر من نفعهما[5].

ولا يستوي أن يكون هناك علم من دون أخلاق حيث يقول الأمير" فالأخلاق هي انعكاسات على جميع الموضوعات بدءًا من الأدب الرفيع في العلاقة مع الله عز وجل شكرا وعبودية خالصة ورغبة ورهبة وصولا إلى كمالات النفس وانطباعاتها والتحكم في نزواتها التي تنظم بها علاقتها الاجتماعية والكونية[6].

فالحقيقة أن الإنسان كائن أخلاقي بطبعه وبحكم فطرته، و الالتزام بالمنهج الرباني الأخلاقي ينتج إنسانا متميزا تميزا تاما عن غيره في كل شيء فهو متميز منذ البداية في عقائده وعبادته ومناهج حياته وفي هدفه النهائي.

إذا ما تحقق هذا الكمال بالعلم النافع و العبادة الخالصة و الخاصة الله وحده وحصل له الرقي في الأخلاق مع نفسه وربه وبني جنسه نال بهذا أحقية الخلافة على هذا الكون الذي بعث فيه خليفة لقوله تعالى : « إني جاعل في الأرض خليفة » البقرة 30

خـــاتمة: نستخلص في نهاية هدا البحث أهم النتائج التالية:

1- عرف الأمير عبد القادر الإنسان على ثلاثة أوجه

- عرف بالروح والعقل و النفس وأن الروح هي المسيرة كلما ارتقى إلى العالم العلوي نالت الشرف

---

[1] . عبد الباري محمد داود، دراسة فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية، دار الافاق القاهرة، ط1، ص 272.

[2] . سعيد عاشور، الإنسان في القرآن الكريم، دار غزين القاهرة، دط، ص36

[3] . مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط3، ص 19.

[4] . طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين، ثق على جمعة، فرع للفكر الإسلامي، القاهرة، د ط، ص13

[5] . مالك بن نبي، شروط النهضة، ت كمال مسقاوي وعبد الصابور شاهين، د ط، ص 95

[6] . ينظر كتاب المواقف للأمير، ج1، ص 209، 357، 366

- عرفه من خلال ظاهره و باطنه وأن ظاهره خلق و باطنه حق أي له نسبتان نسبة يدخل بها إلى هدا العالم الكوني ونسبة يدخل بها إلى الحضرة الإلهية ويقصدبها تخلق الإنسان بالصفات ولأسماء الإلهية على قدر الاستطاعة مع الفرق بين الخالق و المخلوق .
- عرفه بوظيفته الكبرى الخلافة التي تكون من حقه إذا ما تعلق و تحقق بالأسماء و الصفات و عرف ربه و عبده وبالجميع بين هده الأطراف الثلاثة نلاحظ أن الأمير أعطى للإنسان بعدين بعد كوني يتعامل مع عالمه المادي وبعد روحي يتعامل به مع الجانب الغيبي الإلهي وبالتالي فان الإنسان ذو قيمة روحية و مادية ، روحية بان روحه من روح الله التي نفخ الله فيها ومن الناحية المادية اتصف بأحسن صفات التقويم و التسوية و التعديل

2- أما الكمال فهو دلك الذي جمع بين الحق و الخلق ودخل إلى النسيبتين ، إذ كل إنسان خلق بالقوة على التمام و الكمال ولكن لا يظهر فيه الكمال إلا إذا اتصف وتخلق بالأخلاق التي هي صفات الرحمن (أسماؤه و صفاته) وإذا ما تحقق له الكمال عرف وظائفه من استخلاف ومعرفة وأخلاق ومدار كل هده الوظائف قائم على العبودية و الخضوع لله و لقد تجلت هده الكمالية الكبرى في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة للبشرية جمعاء.

قائمة المصادر والمراجع:

1 . الأمير عبد القادر الجزائري ، المواقف في بعض إشارات القرآن علي الأسرار والمعارف، ت عبد الفتاح، دار الهدي، الجزائر، ط1، 1426. 2005.

2. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء، القاهرة، دط، 1998.

3. عبد الباري محمد داود، دراسة فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية، دار الأفاق، القاهرة،ط1.

4 . سعيد عاشور الإنسان في القرآن الكريم، دار غزين، القاهرة، دط.

5 . طه جابر العلواني، الجمع بين القراءتين، ثق علي جمعة، فرع للفكر الإسلامي، القاهرة، دط.

6 . خالد عبد الرحمان العك، غاية حياة الإنسان كما يصورها الدين والعلم دار الألباب، دمشق، ط1.

7 . مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط3.

8 . مالك بن نبي، شروط النهضة، ت كمال مسقاوي و عبد الصابور شاهين، دط

9 . محمد قطب، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، دار الشروق، القاهرة، ط2

10 . يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ط3.